مخطوطات ومطبوعات

يقظة العرب

ألفه جورج انطونيوس ونقله الى العربية علي حيدر الركابي

يقع الكتاب في خمس وخمسين صفحة واربعمائة . وهو مطبوع طبعاً حسناً على ورق صقيل مزين بصورات جغرافية ، توضح كثيراً من الأبحاث .

ويقظة العرب كتاب يدل اسمه عليه ، يستهدف على ما قال مؤلفه في مقدمته : (سرد حكاية وتوضيح مغزاها ، وهو لا يرمي الى تدوين التاريخ النهائي والمفصل للحركة العربية ، بل الى رسم الخطوط الكبرى لأصول تلك الحركة ونموها ، والمشاكل الرئيسية التي جابهتها وذلك بعرض متصل للوقائع يتخلله شيء من التحليل ..)

قال : (ولم تسرد هذه الحكاية سرداً كاملاً قبل الآن ، فقد نشر وصف لبعض مراحل القضية العربية هنا وهناك إلا انني لم أعثر في جميع اللغات التي أعرفها على بحث يتناول تلك القضية من أولها ، اي منذ ان حركت العرب عوامل اليقظة قبل مئة سنة حتى يومنا هذا . كما انني لا اعلم بوجود كتاب يعتمد في سرد وقائعه المصادر العربية والأجنبية على سواء .... ولهذا رأيت أن المجال واسع لتأليف كتاب يستند الى المصدرين معاً . وان مزيجاً مركباً يجمع بين المصادر والتفاسير العربية وبين الاسناد الغربية لا بد من ان يؤدي الى اظهار الحركة العربية وما رافقها من مسائل في بحث جلي وقوي) .

وبعد المقدمة ، تأتي كلمة المعرب : يعرف بها المؤلف والكتاب تعريفاً صحيحاً . ويقول : (قد يجد القارئ في بعض استنتاجات المؤلف وآرائه ، ما يختلف كثيراً أو قليلاً عن افكاره هو ، ولا سيما عند بحثه لمقدمات الحركة العربية . ولكن

القارئ بعفو هذا ايضاً بالنظر لما يحويه الكتاب من تحليل قيمٍ وآراء محكمة في المواضيع الرئيسية التي تهم العرب ولا سيما في موضوع فلسطين) .

(لقد اعترض البعض على تعريب الكتاب بحجة ان العرب عالمون بقضيتهم وليسوا بحاجة الى من يشرحها لهم ، وانه ان نفع قراء الانكليزية فهو لن ينفع قراء العربية . على انني لم التفت الى هذا الاعتراض ليقيني بأن العرب غير عالمين بقضيتهم فهم إذاً محتاجون الى من يشرحها لهم ولا سيما على يد استاذ كجورج انطونيوس . الذي لا يكتفي بأن يضع امامهم صورة كاملة عن حركة لم يروها قبلاً بل انه يعلمهم كذلك الفرق بين أسلوب الخطابة في الدفاع عن قضيتهم وبين الأسلوب العلمي الهادئ . فلئن نجح الأول في تهييج الجماهير في حالات خاصة ولمدة محدودة فان الثاني ذو أثر نافذ وباقٍ على الدهر) .

وبعد ذلك يجيء الباب الأول وعنوانه (البذور الأولى) وقد جعل المؤلف فجر حركة العرب القومية في ديار الشام سنة ١٨٤٧ يوم أسست (جمعية أدبية متواضعة في بيروت برعاها الأميركان) .

ولا يرى المؤلف في الثورات والاضطرابات التي قام بها فخر الدين بالشام ، والوهابيون في جزيرة العرب ـ والحروب التي شنّها محمد علي على السلطان التركي ـ جزءاً من قصة اليقظة التي يرويها ـ لأنها في رأيه : (حركات متفرقة ناشئة عن دوافع خاصة ولم تكن خطوات منتظمة في سير القومية العربية المتوثبة الى الأمام ـ ولهذا وجب وضعها في المقام الثاني من الأهمية) .

وفي هذا الباب يصف المؤلف كيف : (رافق الدعوة الى الاسلام طريقة في التوسع كتب لها ان تؤدي الى فتحٍ كان من أروع المشاهد في تاريخ الفتوحات العالمية . فان قوى الإسلام التي خرجت من قلب الجزيرة اثر وفاة النبي محمد دفعت في كل جهة تستطيع الوصول اليها بطريق البر . ففي الشمال اكتسحت الشام وتقدمت الى الأناضول حيث هدّدت القسطنطينية ، و الشرق فتحت

العراق وفارس والقسم الأكبر من بلاد الأفغان - وعبرت نهر جيحون فدخلت البلاد المعروفة باسم تركستان ، وفي الغرب استولت على مصر وسواحل شمالي افريقية بكاملها حتى وصلت الى شاطئ الأطلانطي ، ثم انطلقت شمالاً عند جبل طارق فاكتسحت اسبانية ثم اجتازت البرنس ودخلت فرنسة فاستولت على افنيون وكركزون وناربون وبوردو . وفي برهة من الزمن لم تعد المئة سنة بعد وفاة محمد قامت امبراطورية عربية تمتد دون انقطاع من شبه جزيرة ايبريه في الغرب الى سواحل البحر المتوسط الجنوبية فشواطئ نهر السند وبحر الخزر في الشرق . وفي القرون التي عقبت ذلك كان الطرفان الشرقي والغربي لهذه الامبراطورية يتراوحان بين مدّ وجزر . ولكن الزمن الذي سلخه العرب ضمن هذه الحدود المترامية كان كافياً لطبع هذه البلاد بطابع عربي دائم . لقد سطر العرب في حكمهم صفحة باهرة في تاريخ البشرية ، ولم تكن عظمتهم قائمة على انهم فتحوا تلك الأجزاء الواسعة من العالم المعروف ، بل على انهم وهبوها حضارة جديدة) .

ويقرر المؤلف — استناداً على مقال نشره الأستاذ ماسينيون في مجلة العالم الاسلامي : ان ما يقرب من ثلثي سكان فلسطين الحضر المسلمين هم من دم عربي صاف والنسبة اكثر من ذلك في شرق الأردن .

ويقول المؤلف : (ان العرب هم الأكثرية الساحقة من سكان البلاد العربية ، من تحدر منهم من اصل عربي صاف ، ومن لم يتحدر ؛ غمرتهم الموجة العربية جميعاً فاستعربوا تماماً وباتت عاداتهم وتقاليدهم مسكوبة في قالب عربي .... وتضم كلمة العرب النصارى والمسلمين . »

ويتناول المؤلف في كتابه حركة محمد علي وابنه ابراهيم باسهاب ، ويشير الى حركة الوهابيين ، والى أثر الارساليات الأجنبية ؛ وينوه بأثر رجالات العرب كاليازجي والبستاني . والمستعربين أمثال فانديك واسمث والى ما أنشئ من جمعيات علمية وأدبية .

وألمّ المؤلف بالاضطرابات التي وقعت عام ١٨٦٠ فذكر أسبابها ونتائجها بتفصيل قد يحتاج الى تمحيص أعمق مما ذكره المؤلف . نضرب على ذلك مثلاً ما زعمه من ان هذه الاضطرابات (عملت على الحد من سلطة الكهنة السياسية فكانت لذلك وبالاً عليهم كما انها ساهمت الى حد بعيد في القضاء على النظام الاقطاعي) أما انها ساهمت في القضاء على النظام الاقطاعي ، فنعم . واما انها حدت من سلطة الكهنة السياسية ، فلا [1] . اذ هي التي خلقت سلطة للاكليروس لم تكن له قبل . وأخطأ في اسباب الفتن وفي معرفة موقديها ، كما أخطأ في اعتقاده ان التعليم في المعاهد التركية كان باللغة العربية ، على خلاف ما كان في المدارس الأجنبية . والحقيقة ان اللغة العربية كانت أكثر إهمالاً في المدارس التركية منها في المدارس الأجنبية .

وفي الباب الرابع تناول المؤلف الاستبداد الحميدي : (١٨٧٦ — ١٩٠٨) فأشار الى الأحداث التي وقعت في أيام عبد الحميد من داخلية وخارجية ، ووصف رجاله والمشروعات التي كانت في أيامه .

وعاد في الباب الخامس الى الحركة العربية من سنة (١٨٦٨ الى ١٩٠٨) وكيف نشأت الجمعيات السرية التي كانت تدعو الى الاستقلال العربي ، وما رافقها من نهضة علمية وأدبية والرجال الذين عملوا لها .

وفي الباب السادس تحدث عن الجمعيتين : العربية الفتاة ، وتركيا الفتاة : (١٩٠٨ و ١٩١٣) والحروب والثورات التي قامت في ذلك العهد ، والرجال الذين عرفوا فيه

وجعل عنوان الباب السابع : (الحرب والجهاد سنة ١٩١٤) فوصف الثورة العربية ـ التي قام بها الحسين بن علي وهي الثورة التي افتتحت بحق عهد الاستقلال العربي ـ وصفاً مسهباً .

---

(١) كان البطريرك الماروني نفسه الى ما قبل سنة ١٨٦٠ يلجأ الى مشايخ بني معروف ليتوسطوا له — حتى في أموره وقضاياه الخاصة — لدى الباب . راجع تاريخ بكفيا للشيخ انطون بليبل ، ووثائق دير الأحمر ، ومحاضرتنا عن بني معروف .

وفي الباب الثامن : بيان للمؤامرة التي دبرها رجال العرب على الحكم التركي .

وفي الباب التاسع : ضمان بريطانية لهذا الاستقلال ، وما كان من مفاوضات بينها وبين الشريف ، ثم ما كان من مراوغتها واحتيالها في تفسير هذا الضمان .

وفي الباب العاشر وما بعده الى السادس عشر : حديث الثورة العربية ، ونتائجها ؛ والعهود المتناقضة التي قطعت للعرب ، والتسوية التي عقبت الحرب ، والأقطار العربية ، والانتداب عليها .

والكتاب على ما تدل فصوله والمقاطع التي استشهدنا بها ، جزيل الفائدة ، لا يستغني عنه عربي يعنى بوطنه وتاريخه ، وحبذا لو ان العرب كان اكثر عناية بلغة هذا الكتاب المفيد .

غير ان ذلك لا يقلل كثيراً من شكر العرب على ما أسداه من خير لأمته ، ونستمطر الرحمات على جدث المؤلف ، فقد خلّد التاريخ العربي له اسمه في صفحة المحسنين .

عارف النكدي

رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة

تأليف ابي علي الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء

يقع الكتاب مع فهارسه وجداول مصادره في مئتي صفحة . حققه الأستاذ صلاح الدين المنجد وجعله جزءاً أول لرسالة ألفها « في (الدبلوماسية) : الرسل والسفراء في بلاد الغرب وبلاد العرب » .

أما كتاب ابن الفراء : (رسل الملوك) فموضوعه كما يدل عليه اسمه : (من يصلح للسفارة والرسالة ، ومن أمر بارسال رسول ومن ينهى عن ذلك . وكيف ينبغي لمن ارسل الى ملك ان يعمل من الاحتياط لنفسه ولمن ارسله . ومن ذُم من الرسل ومن حُمد) .

استهل المؤلف كتابه بما جاء في كتاب الله من ذكر الرسل ؛ ثم اسماء رسل الرسول ، ثم ما قيل في الرسول وفي الكتاب : (الكتاب يد والرسول لسان) .